المحاضرة الثالثة بعنوان

التفكير الاجتماعي عند العرب:

الفارابي- إخوان الصفا-الأنثروبولوجيون العرب

عناصر المحاضرة:

المقدمة:-

- الفارابي.

- رسائل إخوان الصفا.

- الأنثروبوليجيون والجغرافيون العرب.

- خاتمة.

أهداف المحاضرة:

التعرف على ارهاصات الفكر العربي في الميدان الاجتماعي.

المقدمة:

اهتم العرب قبل الإسلام بالتفكير في شئون الحياة والمجتمع وكانت لهم نظمهم الاجتماعية، وكانوا يجتمعون في ندوات علمية ويعرضون مشكلاتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وانتشرت بينهم نظم اجتماعية لها وظيفتها، فقد عرفوا الحج ومارسوا نظم الأضحية والقرابين، وعرفوا النذور، والقوى القدسية، وكذلك الكهانة وفن العرافة والقيافة وغير ذلك الكثير.

وانتشرت بينهم ظاهرة الأخذ بالثأر وارتبطت في مشاعرهم بخرافات تدفعهم إلى ضرورة الثأر للشخص أو القبيلة.

وعرفوا مختلف النظم الزواجية وتعدد الزواج والزوجات ووحدانية الزوجة مع تعدد الأزواج، ووحدانية الزوج والزوجة، كما عرفوا نظام الطلاق.

وكانت لهم معرفة بأوقات مطالع النجوم، ومارس عرب الجاهلية فن الطب وكانوا يصنعون الأدوية والعقاقير من الأعشاب.

وكان العرب يقدسون العصبية والشجاعة ويميلون إلى القتال ويعتبرون الحرب الحل الحاسم بصدد المشكلات التي تواجههم.

وعرف العرب الترجمة والتراجم (نقل الكلام من لغة لأخرى) وهذا يدل على أنهم لم يكونوا في عزلة تامة عن الحركات الفكرية في البلاد المجاورة لهم.

hadeel almafea

ولما انتشر الإسلام حقق في فترة وجيزة الوحدة القومية في بلاد العرب، والاسلام دين اجتماعي والنظام الاجتماعي في الاسلام جزء من الدين، فقد اهتم هذا الدين بالمعاملات، كما اهتم بالعقائد والعبادات (الدين المعاملة).

واهتم الإسلام بوضع تشريعات دقيقة ومنظمة لكثير من النظم الاجتماعية مثل (الزواج - الطلاق- المواريث - طبقات المحارم - الزكاة - الرق الأضاحي- والقرابين - الحج - الصوم - الضوابط الاجتماعية - نظام الحكم - الشورى - العدالة الاجتماعية - المساواة - الحرية - التكافل الاجتماعي وحقوق الإنسان) وما إلى ذلك من النظم الاجتماعية، كما حث الاسلام على التفكير والاجتهاد وطلب العلم.

أولاً: الفارابي

هو من فلاسفة القرنين التاسع والعاشر الميلادي وهو فيلسوف المسلمين وأحد الحكماء المشهورين في التاريخ المتوسط ، وفى هذا الصدد يقول المؤرخون (الحكماء أربعة اثنان قبل الاسلام وهما أفلاطون وأرسطو واثنان في الاسلام وهما أبو النصر الفارابي وأبو على ابن سينا).

وكما لقب أفلاطون بالحكيم الإلهي وأرسطو بالمعلم الأول ، فكذلك لقب الفارابي بالمعلم الثاني وابن سينا بالشيخ الرئيس، وهذه الأقوال تدلنا على مبلغ التقدير الذى يتمتع به الفارابي وعلى عظيم مكانته في العالم الاسلامي.

ثانياً: مؤلفات الفارابي

أن الفارابي عالج شؤون السياسة والاجتماع كما عالج أجزاء الفلسفة الأخرى، ووصل إلينا مما كتبه في هذا الصدد مؤلفان قيمان:

أحدهما "كتاب السياسات المدنية " والاخر "آراء أهل المدينة الفاضلة".

والكتاب الأخير هو أشهر مؤلفاته في هذه الناحية وأصدقها تعبيراً عن مذهبه الفلسفي وما يذهب إليه في شؤون السياسة والاجتماع، وغاية الفارابي واضحة في الكتاب المشار إليه وهي تكوين مجتمع فاضل أو جمهورية مثالية على غرار جمهورية افلاطون ومنهجه واضح أو طريقته في البحث واضحة وهي أن يقيم مدينته وفقاً للمبادئ الرئيسية التي تقوم عليها فلسفته.

ولهذا السبب قسم الفارابي كتابه إلى قسمين واضحين:

عرض في القسم الأول الدعائم الفلسفية التي يريد أن يقيم عليها مدينته المثالية وعرض فيه الكلام عن الذات الإلهية وصفاتها وكيفية صدور الموجودات عنها وأجزاء النفس الإنسانية بوظائفها ومسائل تتعلق بالإرادة والاختيار، وقد تأثر في هذا القسم بنظريات أفلاطون وأرسطو والأفلاطونية الحديثة ومبادئ الدين الاسلامي.

أما القسم الثاني الذى يعنينا في الدراسات الاجتماعية فجاء عبارة عن تصميم أو تخطيط للقواعد التي يريد أن يرسي عليها مدينته الفاضلة فقد شرح فيه المبادئ التي ينبغي أن تقوم عليها المدينة بالذات.

وأهم المسائل التي عالجها الفارابي:

- تحليل الضرورة الاجتماعية. – وتقسيم المجتمعات. – ودعائم المدينة الفاضلة وصفات رئيسها.

وقد بدأ الفارابي بحوثه الاجتماعية بتحليل حقيقة الاجتماع الإنساني والدوافع الضرورية إلى قيامه.

ولا شك أنه رجع في هذا الصدد إلى أرسطو ينشد حكمته وينقل عنه قضيته المتواترة وهي: "الإنسان مدنى بطبعه" وهو بفطرته محتاج من الناحيتين المادية والمعنوية إلى أشياء كثيرة ليس في وسعه أن يستقل بأدائها ولا يقوى على تحقيقها

منفرداً، فلابد له من التعاون ببنى جنسه حتى تتحقق الغاية من الاجتماع الإنساني وهى تحقيق كمال الإنسان بما هو إنسان.

والكمال الذى يقصده الفارابي هو السعادة وهي فكرة منقولة كذلك عن أرسطو ولا يتم للفرد تحقيق السعادة في نفسه عن طريق التعاون المادي فحسب بل لابد له أيضاً من التعاون الروحي أو الفكري لأن السعادة إنما تتصل بأفضل القوى الإنسانية وأكملها وهى قوته العاقلة.

وبعد تحليل الضرورة الاجتماعية ينتقل إلى تقسيم المجتمعات. **وهي في نظره نوعان**:

- مجتمعات كاملة. - ومجتمعات ناقصة أي غير كاملة،

والمجتمعات الكاملة هي التي يتحقق فيها التعاون الاجتماعي بأكمل صوره وأرقى مظاهره والمجتمعات الناقصة هي التي لا تستطيع أن تكفى نفسها بنفسها ولا تحقق لأفرادها السعادة المنشودة.

والمجتمعات الكاملة في نظره ثلاث مراتب (عظمى-وسطى-صغرى)

فالعظمى اجتماعات الجماعة كلها في المعمورة، والوسطى اجتماع أمة في جزء من المعمورة، والصغرى اجتماع أهل مدينة في جزء من مسكن أمة.

أي أن أكمل المجتمعات هو اجتماع العالم كله في دولة واحدة وتحت سيطرة حكومة واحدة مستقلة، وأقل منه كمالاً اجتماع أمة في جزء من المعمورة تستقل بشئونها الداخلية وتستطيع أن تحقق لأفرادها ما ينشدونه من تعاون مادي وروحي.

وأقلها جميعا في الكمال اجتماع أهل مدينة في جزء من الأمة تحت سلطة رئيس، كما هي الحال بصدد المدن اليونانية التي كانت تمثل وحدات سياسية واجتماعية مستقلة.

والمجتمعات الناقصة ثلاث مراتب أيضاً وهي:

- اجتماع أهل القرية

- واجتماع أهل المحلة

- ثم اجتماع في سكة

ثم اجتماع في منزل وأصغرها المنزلة ، والمحلة والقرية هما جميعاً لأهل المدينة إلا أن القرية للمدينة على أنها خادمة للمدينة والمحلة للمدينة على أنها جزؤها.

أي أن أكثر المجتمعات الناقصة رقيا وأقربها إلى الكمال وأقلها نقصاً اجتماع أهل القرية وأهل المحلة (وهى جزء من المدينة وحى من أحيائها) وأكثر من ذلك نقصا وأقل كمالاً اجتماع أهل السكة، مثل اجتماع الشوارع والأسواق.

وأقل الاجتماعات جميعاً وأكثرها نقصاً هو اجتماع أفراد أسرة في منزل والقرية والمحلة في منزلة واحدة من حيث الدرجة، غير أن القرية في نظرة خادمة للمدينة لأنها تمدها بكافة الحاجات الضرورية، وقد أخذ الفارابي هذه الفكرة عن أرسطو فقد اعتبر القرية مستعمرة طبيعية للمدينة، أما المحلة أو الحي بالنسبة للمدينة كنسبة الجزء إلى الكل.

هذا وقد اقتصر الفارابي في دراساته على المجتمعات الكاملة، غير أنه أهمل النوعين الأولين من هذه المجتمعات وهما اجتماع العالم كله واجتماع الأمة ولم يدرس من بينها إلا اجتماع المدينة

hadeel almatea

ويبدو أنه لمس أن اجتماع العالم على الصورة التي يريدها متعذر التحقيق فوجه مزيد عنايته إلى دراسة المدينة لأنها أبسط أشكال المجتمعات الكاملة وأولى خلاياها، فإذا أمكن قيامها على الدعائم المثالية التي يذهب إليها استقامت أمور الإنسانية وصلحت شئونها

ونحن لا نأخذ على الفارابي إهماله الكلام عن المجتمع العالمي لأن مثل هذا المجتمع لا يمكن تحقيقه ولا يتفق في دعائمه وغاياته مع شئون السياسة والاقتصاد والاجتماع.

ويبدو أن الفارابي كان متأثراً فيما ذهب إليه بصدد هذا النوع من الاجتماع بنظرية الرواقيين في "الجامعة الإنسانية أو الجمهورية العالمية" وهى جمهورية تضم جميع شعوب العالم وتحكمها هيئة واحدة، ويكون الفرد في هذه الجمهورية الإنسانية مواطنا عالميا وطنه العالم أجمع وليس مواطنا في دولة معينة أو مدينة محدودة.

أي الرواقيين سبقوا الفارابي في المناداة بفكرة المجتمع العالمي الذى تلغى فيه كل الحدود والأوضاع المتعلقة بالجنس والبيئة واللغة (كما سبقهم إلى ذلك أيضا الفيلسوف الصيني الكبير كونفوشيوس).

غير أن الفارابي وهو فيلسوف الاسلام زاد على الفكرة الرواقية بأن هذه الجمهورية الإنسانية لابد أن تكون خاضعة لحكومة يرأسها الخليفة ولابد أن تدين بالدين الإسلامي، أي أنه من الضروري قيام الوحدة الدينية في هذا المجتمع المثالي لأن هذه الوحدة من شأنها أن تعزز الوحدة الروحية والسياسية.

والذي نأخذه على الفارابي أنه أهمل الكلام عن المجتمع الثاني من بين المجتمعات الكاملة وهو الأمة أو الدولة بوصفها أرقى المركبات السياسية وأتمها في ذاتها وأوضحها قصداً وأقدرها تحقيقاً للغايات المنشودة من الاجتماع الإنساني، ولا يمكننا أن نلتمس له عذراً في ذلك فقد عرف هذا النوع من المجتمعات وعاصره وعاش فيه.

حقاً أن فلاسفة اليونان لم يدرسوا إلا "مجتمع المدينة" لأنه النظام السائد في بلادهم فعرفوه ورأوا فيه النظام السياسي الأمثل، ولكن شتان بين العصر الذى عاش فيه فلاسفة اليونان وبين عصر الفارابي، فقد عاش هذا الأخير حتى النصف الأول من القرن العاشر الميلادي، ومن الطبيعي أن يكون قد عرف النظم الامبراطورية ونظام الممالك المستقلة سياسياً ونظام المدينة ونظام الاقطاع، وما عداها من النظم السياسية التي مرت بها المجتمعات الإنسانية حتى عهده.

يقتصر إذن الفارابي في بحوثه على المدينة، والمدينة الفاضلة في نظره هي التي يتعاون أفرادها على الأمور التي تنال بها السعادة واختص كل واحد من أفرادها بالعمل الذى يحسنه والوظيفة المهيأ لها بطبعه وحسب استعداداته.

وأهم وظائف المدينة وأكبرها خطراً في نظر الفارابي هي وظيفة الرئاسة وذلك لأن الرئيس هو منبع السلطة العليا وهو المثل الأعلى الذى تتحقق في شخصه جميع معاني الكمال، وهو مصدر حياة مدينته ودعامة نظامها، ومنزلته من سائر الأفراد كمنزلة القلب من سائر أعضاء الجسم، ولذلك لا يصلح للرئاسة إلا من زود بصفات فطرية ومكتسبة يتمثل فيها أقصى ما يمكن أن يصل إليه الكمال في الجسم والعقل والعلم والخلق والدين.

وفى هذا الصدد يقول: "ورئيس المدينة الفاضلة ليس يمكن أن يكون أي إنسان اتفق، لأن الرئاسة إنما تكون بشيئين أحدهما أن يكون بالفطرة والطبع معداً لها، والثاني بالهيئة والملكة الإرادية" ولا يمكن أن تصير هذه الحال إلا لمن اجتمعت فيه بالطبع اثنتا عشرة خصلة قد فطر عليها.

أن كلام الفارابي واضح وهو يشترط فيمن يصلح لتولى رئاسة المدينة الفاضلة اثنتا عشرة فضيلة بصفة طبيعية وست فضائل عن طريق الاكتساب.

والفضائل الطبيعية هي على الترتيب:-

1- أن يكون الرئيس تام الأعضاء سليم الحواس. 2- أن يكون بالطبع جيد الفهم والتصور لكل ما يقال أمامه.

3- أن يكون جيد الحفظ لما يفهمه ولما برآه ولما يسمعه ولما يدركه. 4- أن يكون ذكيا. 5- أن يكون حسن العبارة.

6- أن يكون الرئيس محباً للعلم. 7- أن يكون بطبيعته غير شره، يبغض اللذات الدنيوية.

8- أن يكون محباً للصدق وأهله. 9- أن يكون كبير النفس محباً للكرامة.

10- أن تكون أعراض الدنيا عنده هينة، لا قيمة للأموال في نظره ولا يسعى إليها.

11- أن يكون بالطبع محبا للعدل وأهله. 12- أن يكون قوى العزيمة.

وبجانب هذه الصفات الفطرية لابد أن يكون الرئيس مزودا بست صفات مكتسبة يحصل عليها في أثناء حياته وهي على الترتيب:-

- أن يكون حكيما أي فيلسوفا. - أن يكون عالما حافظا للشرائع والسنن.

- أن يكون له جودة استنباط قيما لا يحفظه عن السلف (وهذا ما يسميه علماء الأصول بالقياس، والرئيس في هذا ليس مبتكراً، بل يقيس ما لم يرد فيه نص عن سلفه بما يشبهه من الأمور التي ورد فيها نص عنهم).

- أن تكون له جودة رؤية وابتكار تسمح له بتشريع مبتكر في الأمور التي لم يحدث لها نظير في عهد سلفه.

- لا يكفى أن يكون الرئيس ملماً بالشرائع السابقة على ما ذكره فيما سبق بل يجب أن يكون قادراً على تعليمها للناس وإرشادهم إليها.

- يشترط في الرئيس أن يكون القائد الأعلى للجيوش فلابد أن تساعده قوته البدنية على أداء هذه الوظيفة.

وإذا لم يوجد إنسان استكمل لهذه الشرائط المكتسبة كلها، وحدث أن اجتمعت في اثنين كأن يكون أحدهما حكيماً فقط، وتجتمع في الشخص الثاني الشرائط الباقية كانا هما رئيسين في المدينة.

وهذا على فرض أن تتوافر فيهما الشروط الطبيعية الفطرية.

وإذا توافرت الصفات الطبيعية في جماعة، ولم تتوافر المكتسبة كلها في واحد بل تفرقت فيهم، كأن يكون أحدهما حكيمان والثاني يمتاز بقدرة الثبات، والثالث بالقدرة على الاستنباط، وكانوا جميعاً متلائمين، كانوا الرؤساء الأفاضل، فلا بأس من أن يتولوا السلطة جماعة.

الشرط الروحي.

وغاية الفارابي هنا واضحة فهو يريد أن يكون رئيس المدينة الفاضلة فيلسوفاً كامل التعقل، والحق أن الفارابي ينفرد بذكر هذا الشرط الروحي، فأفلاطون في جمهوريته اقتصر على أن يكون رئيس المدينة فيلسوفاً استولت عليه الفلسفة كما ينبغي، ولم يشترط أن يكون ملاكاً روحيا أو نبيا دينياً جمع بين الفلسفة والإشراق الصوفي وهذا يدلنا على مبلغ تأثر الفارابي بالاتجاهات الصوفية في الديانة الاسلامية.

وإذا أضفنا إلى ذلك أن الفارابي يذهب إلى أن أفراد المدينة لا تتحقق سعادتهم، ولا تصبح مدينتهم فاضلة إذا ساروا على عكس رئيسهم وأصبحوا صورة منه، وأن الرئيس لا يعد مؤديا لرسالته إلا إذا وصل بهم إلى هذا المستوى الرفيع.

ويتضح لنا أن المدينة الفاضلة التي صممها الفارابي في كتابه هي مدينة من القديسين الأبرار وليست من المواطنين الأحرار، وهى برئاسة نبي أو ملك كريم وليست تحت حكم سلطة سياسية من طبيعة اجتماعية، وغنى عن البيان أو التعريف أن مدينته هذه شأنها لا سبيل إلى تحقيقها في واقع الأمر.

فإذا حدث عدم توافر هذا الشرط الروحي في إنسان مع توافر سائر الشروط الطبيعية والمكتسبة بقيت المدينة بدون رئيس، ولا يعتبر الرئيس القائم فعلاً بأمر المدينة ملكا.

ومثل هذه المدينة مآلها إلى السقوط وتظل في تعثر واضطراب إلى أن يقيض الله لها من ذويها من يجمع بين الحكمة وبين الشروط التي سبق ذكرها، فالحكمة في نظر الفارابي هي أهم ما يستقيم به أمر المدينة الفاضلة وأهم ما يجب توافره في رئيسها.

المدن غير الفاضلة

ويعطينا الفارابي مظاهر عديدة من المدن غير الفاضلة أهمها:-

المدينة الجاهلة أو الجاهلية: وهى التي لا يعرف أهلها السعادة بل ظنوا أن الخير إنما هو الملذات البدنية وأن الشقاء هو آفات البدن.

المدينة الضرورية: التي يقصد أهلها إلى التكالب على الحاجات البدنية الضرورية من المأكل والملبس والمسكن.

المدينة البدالة أو التجارية: التي ينزع أهلها إلى جمع الثروة واكتنازها فذلك غايتهم بدون الانتفاع بها.

مدينة الخسة: التي يزاول أهلها اللهو والعبث ومقصدهم التمتع بكل ما يتعلق بلذات البدن.

مدينة الكرامة: التي يقصد أهلها إلى أن يكونوا مشهورين ذكوريين و ممدوحين وجهاء.

المدن غير الفاضلة

المدينة المتبذئة: وهي مدينة كانت فاضلة ثم دعمتها تيارات شاذة وأصابها انحراف، فتغير أهلها إلى غير أفاضل واستحالت أفعالها ونظمها إلى غير ذلك.

المدينة الضالة: وهى التي يضل أهلها عن الدين ويذهبون بصدد تفسير العقائد والطقوس تفسيراً فاسداً غير مستقيم.

المدينة الفاسقة: وهى التي يعرف أهلها آراء واتجاهات المدينة الفاضلة ولكنهم يتنكرون لها ويسلكون مسلك أهل المدن الجاهلة.

مدينة الإباحية أو الجماعية: ويسير أهلها على فطرتهم ويفعلون ما يشاءون بدون أية ضوابط اجتماعية وأخلاقية.

مدينة التغلب: التي يقصد أهلها إلى النضال وحب الحرب.

وأهم وجوه النقد الذى تعرض له الفارابى ما يأتى:-

درس شؤون الاجتماع مختلطة بالدين والأخلاق وتأثر في هذا الصدد بنظريات صوفية وخطوات روحية مما أفقد نظرياته الصفة العلمية.

كانت دراساته متجهة إلى البحث فيما ينبغي أن تكون عليه شئون الاجتماع ولم يبحث في طبيعة النظم وفيما هو كائن، أي أن دراساته من طبيعة فنية عملية وليست من طبيعة علمية نظرية، وبهذه الصفة لا يعتبر الفارابي عالم اجتماع بالرغم من أن الدراسات الإنسانية والاجتماعية استأثرت بنصيب كبير من فلسفته.

ان من أنصار الاتجاه الذى يرمى إلى تشبيه المجتمع بالكائن الحي وهو اتجاه خاطئ ولا يستقيم مع الاتجاه الوضعي في درسه حقائق الاجتماع.

نقل معظم أجزاء فلسفته من فيلسوفي اليونان (أفلاطون وأرسطو) هذا إلى أنه شوه بعض ما ذهبا إليه لأنه كان ينزع إلى التوفيق والمزج بين آراء الفيلسوفين ولذلك لم يكن الفارابي أصيلاً فيما ذهب إليه ولم يكن موفقا كذلك فيما نقله عنهما.

تعبر آراؤه عن شخصية صاحبها وفلسفته الخاصة أكثر من تعبيرها عن حقائق الأمور، فهي آراء فلسفية لا تستمد دعائمها من طبائع الأشياء ولا تنهض حقائق التاريخ دليلاً على صحتها ويبدو أن الفيلسوف المسلم كان مسيرا بأفكار سابقة وآراء شخصية هي التي دفعت به إلى رسم التصميم الذى أشرنا إليه.

خاتمة

وفى ضوء هذه الاعتبارات يمكننا القول بأن بحوث الفارابي لم تقدم لعلم الاجتماع شيئاً جديراً بالذكر، ولا تعتبر في ذاتها من علم الاجتماع ولكنها من قبيل "اليوتوبيا الاجتماعية" أو من الدراسات الفلسفية الاجتماعية الممهدة لظهور العلم.

رسائل إخوان الصفا

نشأ إخوان الصفا في البصرة في مطلع القرن الرابع الهجري وكانوا يشكلون جماعة سرية من أهل الفكر المتحررين غايتهم إصلاح المجتمع والتوفيق بين المذاهب الفكرية المختلفة.

ترك إخوان الصفا (51) رسالة، ثم أضافوا رسالة جامعة (أو فهرس) وقسموه أربعة أقسام:

- الرسائل الرياضية التعليمية - الرسائل الجسمانية الطبيعية

- الرسائل النفسانية العقلية - الرسائل الإلهية والشرعية الدينية

ولهذه المجموعة من المدونات قيمة فكرية لأنها تصور لنا الحياة العقلية في القرن الرابع الهجري، كما أنها تضم فقرات وشذرات تتناول بعض الحقائق الاجتماعية.

فالمجتمع عند إخوان الصفا طبقات مختلفة بعضها فوق بعض. فقد ورث الناس هذه الطبقية منذ الولادة، بعضهم من أبناء الملوك وبعضهم من أبناء التجار وبعضهم من أبناء الفقراء.

وهم يروا في هذا التفاوت الطبقي حكمة ووظيفة. فالإنسان لا يستطيع أن يقوم بجميع أعمال المجتمع، فاختلاف طبقات الناس يسهل قيام كل طبقات بعمل معين، ومن ثم تتعاون الطبقات الاجتماعية على تحقيق التكامل في الوظائف الاجتماعية.

والناس في المجتمع بحاجة لحاكم يقيم الدين ويحكم بين الناس ويرعى مصالحهم، ولهذا كان هناك ضرورة لنشوء الدولة.

الدين والدولة مرتبطان، والدين أفضل من الدولة، لأن الدولة أقيمت من أجل الحفاظ على أحكام الدين.

وعلى صعيد المجتمع أشاد إخوان الصفا بفضل نظام الأسرة المتكاملة في عناصرها. فالرجل في نظرهم سيدها وحاميها، أما المرأة فهي أقل شأناً وعقلاً من الرجل. وظيفتها استمرار النسل وضمان بقاء النوع.

وفي ميدان الأخلاق الاجتماعية، أكد إخوان الصفا وجود قسمين، الأول فطري موروث، والثاني مكتسب.

وتتأثر الأخلاق الموروثة:

بالتكوين البيولوجي للإنسان ، وهنا إشارة إلى المزاج والطباع.

بالبيئة الطبيعية والجغرافية

وتتأثر الأخلاق المكتسبة بما يتعلمه الفرد من فنون وآداب وعلوم.

وتقدم رسائل إخوان الصفا طائفة من النصائح والوصايا تنطوي على أسمى القيم والفضائل الأخلاقية، متأثرين بفضيلة العدالة التي نادى بها كل من أفلاطون وأرسطو.

وتعرض الرسائل لقضايا التربية والتعليم، خاصة التربية الدينية لما لها أكبر الأثر في تهذيب النفس وتكوين الشخصية الإنسانية.

وقد أكدت رسائلهم على أهمية البيئة الأسرية والرسمية وأثرها في تربية الأطفال، من خلال ظاهرة التقليد. التي يسعى من خلالها الطفل لتقليد مظاهر سلوك وعادات البيئة التربوية التي ترعرع في أجوائها.

ولذلك حثوا على أن يكون الآباء والأساتذة قدوة حسنة للأطفال. خاصة أن لظاهرة التقليد أثرها البالغ في وراثة المهن والوظائف والنجاح بها.

الأنثروبولوجيون والجغرافيون العرب

استطاع العرب في فترة قصيرة أن يشيدوا امبراطورية عربية إسلامية مترامية الأطراف.

ودخلت في نطاقها شعوب متمايزة وأجناس مختلفة لها عاداتها وتقاليدها ولهجاتها.

وسرعان ما انصهرت كل هذه الشعوب في وحدة لغوية وثقافية وحضارية ودينية، وامتزجت وتصاهرت وتحقق في نطاق هذه الامبراطورية عاملان مهمان هما: السلام الإسلامي والتعريب.

فكان من الطبيعي أن تقوم وسط هذه الأقوام طائفة من الباحثين محبة للاستطلاع والتعرف والقيام بالأسفار والرحلات للكشف عن حواضر العلم وعواصمه في الامبراطورية.

وقد ساعد على ذلك شبكة القوافل التي ربطت وقربت كل أجزاء الدولة العربية. وكان لفريضة الحج وزيارة الأراضي المقدسة أثراً واضحاً في هذه الأسفار.

وقد أتاحت هذه الظروف الفرصة لقيام العديد من رجال الفكر والأدب والمجتمع بزيارات ورحلات دراسية لتقصي أحوال الشعوب الجغرافية والعمرانية والكشف عن عاداتها وتقاليدها وآثارها الحضارية.

وهؤلاء هم من وضعوا اللبنة الأولى في علمي الأنثروبولوجيا والجغرافيا عند العرب. قد اشتهر من بينهم:

أحمد بن فضلان، الذي أرسله الخليفة المقتدر عام 912 ميلادي إلى بلغاريا. وقد وصف هذا الرحالة بلادهم وعاداتهم وما قام به من أعمال الدعوة والتبشير بين جماعاتهم لنشر الدين الإسلامي بنظمه ومبادئه، وكذا اللغة العربية.

الجغرافي الكبير أبو الحسن علي ابن المسعودي، الذي طاف بلاداً كثيرة، وقام بدراسات جغرافية، لا تزال أصالتها واضحة، ولذلك يعتبر من أدق علماء الأنثروبولوجيا العرب. اشتهر بكتابه "مروج الذهب ومعادن الجوهر" (950م).

أبو القاسم محمد بن حوقل، الذي وضع كتاباً بعنوان "المسالك والممالك" اعتبر مرجعاً أساسياً في دراسة أحوال دولة القرامطة الاجتماعية، ونظمها السياسية والاقتصادية.

أبو عبد الله محمد ابراهيم الطنجي الشهير باسم (ابن بطوطة). والذي قام بأسفار دامت ما يقارب ثلاثين عاماً، زار فيها معظم أنحاء الوطن العربي، وبلاد الهند والسند والصين وجنوب شرق آسيا، وأفغانستان وبلاد العجم والأناضول، ودول بأفريقيا كالسودان والحبشة.

فدون خلاصة مشاهداته ودراساته وتجاربه في كتابه الشهير: "تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" (1356م).

خاتمة

هذه إشارات سريعة لبعض ما تركه الأنثروبولوجيون والجغرافيون العرب من آثار نفيسة أفادت ميدان الدراسات الاجتماعية.

فقد كان لما قدمه هؤلاء من حقائق وصفية وملاحظات ومشاهدات واقعية ووثائق أهمية تاريخية كبيرة، زودتنا بمعلومات زاخرة عن عادات الشعوب التي زاروها وأحوالهم البيئية والاجتماعية.

لقد استطاعوا تحليل هذه الحقائق والقيام بالمقارنات والموازنات بين مختلف هذه الشعوب، وهذا ما منحهم أهمية بالغة في تاريخ الدراسات الاجتماعية عند العرب.

hadeel almafea